المحاضرة الأولى : مفهوم التعلّم والتعليمية

تمهيد :

أكثر النشاطات التي يزاولها الإنسان في حياته هي التعلّم. فمنذ يولد إلى أن يموت يجد الإنسان نفسه مجبرا على تعلّم مجموعة كبيرة من المهارات التي هي قوام حياته. وإذا استثنينا بعض المهارات التي يولد، وهو يمارسها بصورة طبيعية، كالتنفس مثلا؛ فإن جميع المهارات الأخرى، تقريبا، يتعلّما تعلّما؛ سواء أكان ذلك بوعي تام، وقصد إلى هذا التعلّم، أم دون وعي. فالأكل، والمشي، والقفز، والكلام، والسباحة، واستعمال الآلات كالملعقة والقلم والعصا؛ هي كلها مهارات يتعلّمها الإنسان تعلّما.

ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن التعلّم نشاط طبيعي ومستمرّ. ومن خلال التعلّم الفعال يستطيع الإنسان أن يتغلب على الكثير من المشكلات التي تواجهه في حياته. والحقيقة أن التغلب على إشكالات الحياة ينبني أساسا على مدى اكتساب المتعلم لمهارات مناسبة لطبيعة الإشكالات التي تواجهه.

و" التعليمية " مصدر صناعي من الاسم " تعليم "، الذي هو بدوره مصدر مشتق من الفعل " علّم ". والمصادر الصناعية، كما هو معروف، صيغ قياسية، تشتق من الأسماء لتدل على مجموع الخصائص التي توجد في هذه الأسماء، فتقول : قوم وقومية، ورأس مال ورأسمالية، وعالم وعالمية، وواقع وواقعية. وهكذا.

ومصطلح التعليمية يقابل المصطلح الفرنسي " Didactique "، والانجليزي " Didactic "، وهو يستعمل عادة بمفهوم التوجيه، والتربية، والتعليم. وعلى كل حال فإن كل فعل تربوي ينهض على فكرة نقل معلومة أو مهارة من معلم إلى متعلم فهو فعل ديداكتيكي (أو تعليمي).

مفهوم التعلّم

هناك مجموعة كبيرة من التعاريف التي تناولت مفهوم التعلّم بالتوضيح والشرح . وهذه التعاريف تتفاوت من جهة تناولها لصلب الموضوع، ومن جهة تناولها للخصائص المحدّدة لهذا المفهوم. نذكر منها على سبيل المثال :

تعريف ماكانديس (Mecandess)، والذي يقول فيه : التعلّم " اكتساب المهارات الجديدة و إدراك الأشياء والتعرّف عليها عن طريق الممارس، بما في ذلك تجنّب بعض أنماط السلو ك التي يتضح للكائن الحيّ عدم فعاليتها، أو ضررها ".

تعريف وود رورث (wood worth) : بأنه " النشاط الذي يمارسه الشخص والذي يؤثر على سلوكه مستقبلا . و هذا يعني أن التعلم يقوم أساسا على إيجابيات الفرد و تفاعله مع البيئة التي يعيش فيها، وعن طريق هذا التفاعل يتوصل الإنسان إلى طرق جديدة ".

تعريف جون رايان (John Rayan)، ويرى أن التعلم : " هو عملية تستمر مدى الحياة، سواء كان ذلك مقصودا أو غير مقصود ، والهدف منه هو التأقلم مع البيئة وفهمها والسيطرة عليها".

أما جيلفورد (Guilford)، فيرى أن " التعلم لا يعدو أن يكون تغيّرا في السلوك ناتجا عن استثارة هذا التغيّر نفسه. وقد يكون نتيجة لأثر منبّهات بسيطة. وقد يكون أحيانا نتيجة لمواقف معقّدة ".

ومن الباحثين العرب الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع نجد تعريف محمد الدريج ، ويعرفه بأنّه : " نشاط تواصلي يهدف إلى إثارة التعلم، وتحفيز وتسهيل حصوله. إنه مجموعة الآفعال التواصلية، والقرارات التي يتم اللجوء إليها بشكل قصدي ومنظم. أي يتم استغلالها وتوظيفها ".

وهناك أيضا تعريف طعيمة رشدي أحمد : " هو إعادة بناء الخبرة، التي يكتسب المتعلم بواسطتها المعرفة والمهارات والاتجاهات والقيم. إنه بعبارة أخرى مجموع الأساليب التي يتم بواسطتها تنظيم عناصر البيئة المحيطة بالمتعلّم بكل ما تتسع له كلمة البيئة من معان من أجل إكابه خبرات تربوية معينة ".

ومن خلال هذه التعاريف المتنوعة يمكن أن نخلص إلى ما يلي :

- نلاحظ أنّ التعلم عامل أساسي في حياة الفرد.

- ضرورة وجود الدافع الذي يدفع المتعلم إلى التعلم.

- يجب أن يتوفر المتعلم على حد أدنى من النضج والاستعداد الذي يؤهله لعملية التعلم.